المشرق

يوبيل
مدرسة الحكمة الذهبي

للاب لويس شيخو اليسوعي

كانت السنة ١٨٧٥ سنةً مباركة لبيروت ازداد في ربوعها نور الاداب والعلوم سطوعاً بابتناء صرحَين جديدين لتهذيب الشبيبة اشترك في رفع منارهما الشرق والغرب معاً. فبينما كان رؤساء الرسالة اليسوعيّة يشيّدون كليّتهم جنوبيّ المدينة في حيّ كان يكون فارغاً من السكّان كنت ترى رئيس اساقفة بيروت الطيّب الذكر السيّد يوسف الدبس يجهّز للناشئة الوطنيّة مدرسةً اختار لها اسماً ينبئ بسواء خطّتها وسموّ غايتها فنسبها الى الحكمة. فما انتهت تلك السنة المباركة حتى تمّ في بيروت ذاك المثلّث التهذيبي الجليل الجامع بين معاهد ثلث طوائف كاثوليكيّة اعني البطريركيّة الكاثوليكيّة والحكمة المارونيّة والكليّة اليسوعيّة

وقد مرّ لنا ذكر يوبيل مدرستنا الكليّة في العام الماضي. امّا المدرسة البطريركيّة العامرة فانّ يوبيلها وافق أيّام الحرب الكونيّة فلم يسعها اقامة ذكرى لذاك الموسم البهيّ. فعساها ان تحيي لهُ موعداً في المستقبل القريب تعويضاً عمّا فاتها

وها نحن نخصّ الصفحات التالية بذكر مدرسة الحكمة التي تلطّف اربابها فدعونا لحضور حفلة يوبيلها

١ تأسيسها

كان اوّل من فكّر في انشاء مدرسة كبيرة لابناء الطائفة المارونيّة الكريمة المطران الذائع الشهرة والفضل طوبيّا عون الذي طالت مدّة استنيبه فعُني باصلاح امور كرسيّ ابرشيّته وفتح مدرسة اكليريكيّة لتهذيب اكليرسها في عين سعادة واقتنى ارزاقاً وافرة في شملان ليبني فيها مدرسة راقية فحال الموت دون انجاز رغائبه

على انّ ذاك الفكر السامي لم يلبث ان خرج الى حيّز العمل على يد خلفه المثلّث الرحمات السيد يوسف الدبس الذي على الرغم من العقبات التي وجدها في سبيله قام قيام الابطال منذ اوّل انتخابه لرعاية ابرشيّة بيروت في ١١ شباط سنة ١٨٧٢ متحفّزاً لكلّ شؤونها ساداً كل حاجاتها من ضبط اوقافها وتدبير رعاياها وابتناء كنائسها وارشاد مؤمنيها ونشر كتبها الطقسيّة ولاسيما تهذيب ناشئتها. فلم يدع وسيلة إلّا توسّل بها لتحقيق امانيه. وان قصرنا النظر على هذه المدرسة الزاهرة التي هي ثمرة مساعيه الطيبة لوجدنا فيها فخراً كافياً لمؤسّسها وتخليداً لذكره

فانّهُ رحمهُ الله اقامها بعد قليل منتصبةً فوق ربوة عُرفت بحلّة الغابة تطلّ على البحر ينعشها النسيم العليل مزدانة بالقاعات الرحبة مجهّزة بكل لوازم المعاهد العلميّة العصريّة. ولمّا تخيّر لها اسمها الشريف «مدرسة الحكمة» جعل شعارها آية الكتاب الذهبيّة: «رأس الحكمة مخافة الله» مصرّحاً بانّهُ يريدها قبل كلّ مدرسة مسيحيّة مؤسّسة على روح الدين فيجري فيها مع العلم جري قرينَي الرهان

وغنيّ عن البيان ما تكلّفهُ مؤسّسها من النفقات الطائلة والاتعاب الشاقّة والهموم المضنكة لاتمام هذا المشروع الكبير وقد ألحق بالمدرسة كنيسةً جميلة كان التلامذة يقيمون فيها الرُّتب الطقسيّة بكل انتظام ويقصدها اهل ذلك الحيّ اذ لم يجدوا كنيسة غيرها لتأدية واجباتهم الدينيّة. وجعل مقامه في ردهاتها ليكون على مقربة منها وهو وليّها فيرعاها بنظره ويسهر على رقيها ونجاحها

٢ علومها

ترقّى سيادة منشئ مدرسة الحكمة في ما تحتاج اليه الشبيبة في عصرنا من المعارف

وما يرغب فيه الاهلون لتهذيب ابنائهم فأعدّ لهم مناهل من العلوم يستقون من مياهها العذبة ويرتوون من عيونها النميرة

وكان اوّل همّه في رفع منار لغتنا العربية فانتدب لتعليمها رجالًا اشتهروا بتضلّعهم من معرفة اسرارها ونوادرها . فأتقنوا تعليمها في كل فنونها من اصول لغة ومعانٍ وبيان وقرض شعر وخطابة . ومع كثرة اشغاله لم يأنف من تأليف الكتب المقرّبة لاحراز كنوزها كمغني المتعلّم عن المعلّم في مبادئ الصرف والنحو وكتاب مربّي الصغار ومرقّي الكبار في واجبات الانسان نحو خالقه واهله ووطنه . هذا فضلًا عمّا كان يزوّدهم من مصنّفاته الجليلة ولاسيما تاريخه الشهير عن سوريّة في ثمانية مجلّدات

ورأى في إقبال العموم على درس اللغة الافرنسية ما دعاه الى تعليمها بكل فروعها واستدعى لذلك معلّمين فرنسويين بيتهم الكهنة والعالمُون فتخرّج عليهم كثيرون من الطلبة بالآداب الافرنسية حتى اتقنوها وصنّفوا فيها التآليف الحسنة وخطبوا بها في النوادي العلميّة

وممّا لم يَفُتْ نظرهُ حاجةُ كثيرين من ابناء الوطن لدرس اللغة التركية ليخدموا بها الدولة العثمانيّة في مناصبها وظائفها المختلفة في الولاية والجبل . ففتح بتعليمها باباً ولجهُ الطلبة فتمكّنوا به من البلوغ الى مراتب شتى في الحكومة

وهذا ايضاً ما حدا به الى انشاء دروس فقهيّة لتدريس قوانين الدولة التركيّة والفقه الاسلامي لمزاولة فنّ المحاماة . ولم يكن وقتئذٍ مدرسةٌ خاصّة لدرس الحقوق فكان تعليمها في مدرسة الحكمة نعمةً استدَّ منها جمهور من الطلبة أهّلتهم لخدمة المحاكم الوطنيّة حيث اعيوا عن اقتدار وسعة علم

وبديهي انّ العلوم الادبيّة كالتاريخ والجغرافية والفلسفة والرياضيّات والطبيعيّات وفي مقدّمتها العلوم الدينيّة كان لها حصّتها على حسب تقدُّم الطلبة في دروسهم تشهد على ذلك ما لدينا من دفاتر توزيع الجوائز الاحتفالي سنويًّا . كما انّ الفنون الجميلة كالتصوير والموسيقى جُعل لطلبتها اساتذة بارعون

٣ الرؤساء

انّ الرئيس الاعلى لمدرسة الحكمة هو كلٌّ من رؤساء اساقفة بيروت على الموارنة

اذ هي تدخل في جملة ابرشيّته ومن اوقافها نالت قسماً من رقيّها مادّيًا وادبيًا. وقد امدَّ الله في حياة منشئها الفضال فتمتَّع برئاستها نيفاً وثلثين سنة. وجهّز بقربها للفقراء داراً للصنائع والفنون مع درس مبادئ القراءة والكتابة والحساب

فقام بعده خلفهُ الهمام السيد بطرس شبلي وهو من علماء عصره بامور التعليم والتهذيب كما شهدها في حواضر اوربّة فنفخ في المدرسة روحاً جديدة واستفرغ الوسع في ترقيتها بزيادة اعتنائه في طرائق تعليمها وتنظيم دروسها فاكسبها سمعة طيبة في الثماني السنين التي قضاها في جوارها الى ان نشبت الحرب الكونيّة فاصابت ذاك الصرح العلميّ بضربة مؤلمة كما قوّضت اركان التعليم في كلّ مدارس بيروت الكاثوليكيّة. وزاد الاتراك على جناياتهم ان نفوا ذاك الحبر العلّامة والسيد الفهّامة فكانوا سبباً لهصر عود حياته اذ عرّضوهُ لآفات الغربة ومشقّات الاسفار

على انَّ الله لم يشأ ان تفقد الاوطان ثمار مدرسة الحكمة اليانعة وكان قد قيّض منذ عهد السيد بطرس شبلي خلفاً لهُ لتدبير هذه المدرسة في شخص رئيس اساقفة بيروت الحالي السيد اغناطيوس مبارك فادارها مدّة واليه صارت رئاستها العليا بعد ان حطّت الحرب اوزارها وعادت مياه الامن الى مجاريها. وهذه السنة هي السابعة منذ تولّى سيادتهُ شؤونها بعنايته الاسقفيّة وشملها بالطافه الراعويّة

وإنْ نَنْس ما نسينا اولئك الذين أُسندت اليهم الرئاسة العاملة في المدرسة تحت نظر الاساقفة الرؤساء فكانوا خير ممثلين لسلطة احبارهم الاجلّاء. فاختار اوّلًا المطران يوسف الدبس كساعد لهُ في ادارة مدرسة الحكمة مدبّر الرهبانيّة الحلبيّة القس يوسف الشابي فخلفهُ بعد سنة في رئاسة المدرسة الطيب الذكر المنسيور يوسف العلّم الشهير بفضله وعلمه. فقام بتدبيرها اربع سنين (١٨٧٦ــ١٨٨٠)

ولمّا وَكل اليه السيد يوسف الدبس النيابة الاسقفيّة على الابرشيّة اقام على رئاسة المدرسة اخاهُ المنسيور بولس الدبس فتولّاها ٢٨ سنة (١٨٨٠ــ١٩٠٨) فكان لشقيقه بمثابة يمناهُ وكصدى لكل اوامره ونواهيه

وقد عهد المطران بطرس شبلي بعده رئاسة المدرسة الى حضرة الخوري اغناطيوس مبارك مطران الابرشيّة الحالي فكان مدّة ثلث سنوات سندها ونورها وعضده المكين في رقيها. ولم يكن خلفهُ المنسيور بطرس مبارك دونهُ همّة وعنايةً فسعى الى رفع

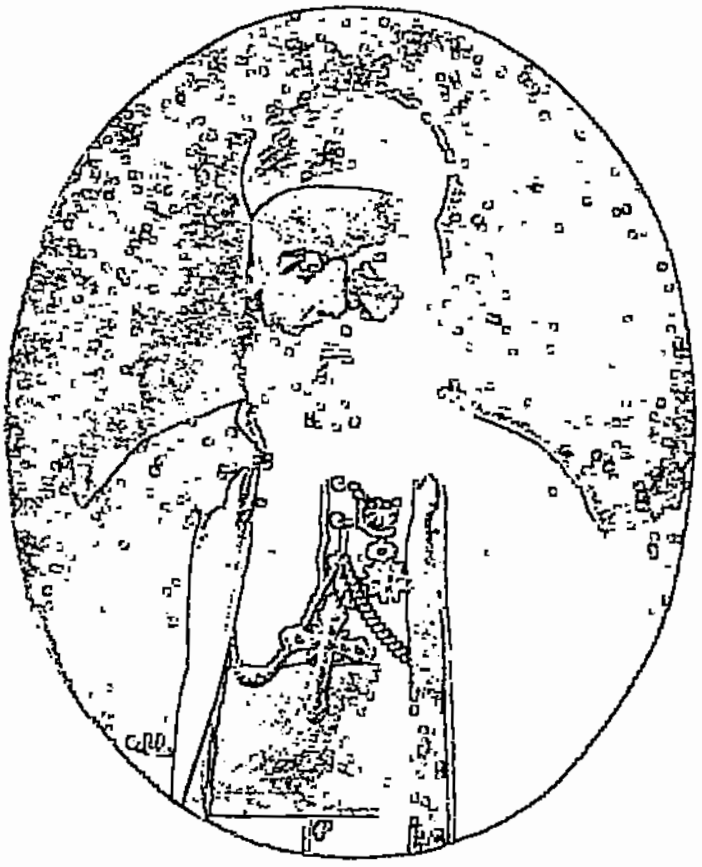

سيادة المطران اغناطيوس مبارك

رئيس اساقفة بيروت على الموارنة

منارها وإعلاء مقامها ثمّ نالهُ مثل السيد شبلي قسمٌ من الالم بايصاد ابوابها وتوقيف حركتها ووقوفه لدى رجال المجلس العرفيّ

وسلّم صاحب السيادة المطران اغناطيوس مبارك دفّة تدبيرها بعد الحرب الى يدٍ حكيمة احسنت تدبيرها نزيد به حضرة الخوري نعمة الله مبارك سليل الرسالة اللبنانيّة الكريمة. ولمّا دُعي بعد ثلث سنوات الى التخصّص بالاعمال الرسولية في جماعته الفاضلة تبعهُ في عملهِ ونشاطهِ وحسن تدبيره حضرة الخوري انطون ابو شديد (١٩٢٢) ثمّ سيادة المنسيور مخائيل حويس النائب الاسقفي (١٩٢٣) رئيسها الحالي وهو خير خلف خير سلف

٤ معلّموها

لا مشاحّة في انّ رقيّ المدارس يتوقّف بادئ بدء على اختيار المدرّسين فلذلك نشط سيادة منشئها وخلفاؤهُ الى انتداب افضل من عُرفوا في زمانهم من ابناء الوطن كاساتذة ومعلّمين منهم اليوم اساقفة اجلّاء كالمطران يوسف عوّاد والمطران بطرس فتالي وبعضهم تخرّجوا في مدرستنا الاكليريكيّة كالسيد نعمة الله ابي كرم المطران القيم في روميه والمرحوم السيّد يوسف صقر ومنهم خوارنة اماثل كيوسف ابي صعب ونعمة الله باخوس ورافائيل البستاني ولويس سمعاني ساروا مرتصفين مع بعض افاضل مدرستينا في غزير وبيروت كيوسف البستاني وجرجس فرج صفير والمنسيور بطرس عقل والامير يوسف شهاب ومنهم علمانيّون بينهم كبار اللغويّين كالشيخ عبدالله البستاني والمرحوم الشيخ سعيد الشرتوني ومشاهير الفقهاء والقانونيين كالمرحومين نقولا بك النقّاش والشيخ يوسف الاسير وكالخوري بولس نجيم والشيخ نوفل الخازن وسليم بك العوشي ولكلّهم آثار طيّبة نثريّة وشعريّة تنطق بفضلهم وسعة مداركهم

واجتمع قسم منهم فألّفوا الدائرة العلميّة المارونيّة فألقوا فيها المحاضرات العلميّة والادبيّة والفلسفيّة نُشر منها نبذتان حسنتان

وبفضلهم كانت كل سنة تُعقد المحافل الادبيّة وتمثّل الروايات ومعظمها بقلمهم فكانت تزيد المدرسة بواسطتها شهرةً وحسن سمعةٍ

ولم تخلُ المدرسة من اساتذة اختصاصيين في الفنون الجميلة كداود افندي القرم

في التصوير وحضرة القس بولس الاشقر الانطوني في الموسيقى . والاساتذة الاب بطرس عبّود وضاهر الشدياق وسليم غاليه في الرياضيّات والمعلمين علّام حنا علّام وفرنسيس صفير في الخطوط

٥ التلاميذ

تُعرف الشجرة بوارف ظلّها وبهاء ازهارها وطيب ثمارها ووفرة جناها . ومن كلّ هذه الوجوه قد امتازت مدرسة الحكمة والدليل على ذلك هو نموّ عدد طلبتها المتواصل فانّهُ لم تضمّ في اوّل سنة من انشائها سوى ٧٢ تلميذاً فلم تزل تركو وتنمو حتى ضاقت عن حصر طلبتها قاعات المدرسة على رُحبها وقد زيدت فيها ردهات جديدة حتّى اربى معدّل عددهم على الثلثمائة فكان يقبل اليها الطالبون من كل انحاء لبنان وسواحل الشام وداخليّة البلاد كحلب ودمشق وانطاكية حتى من الاسكندريّة ومصر .

وكنت ترى بينهم ممثلي سائر الأُسر الشريفة والبيوتات المنيفة من امراء شهابيّين ولمعيّين وارسلانيين ومن شيوخ خوازنة وحداد وحبيشيّة وتلاحقة وحمادية فضلاً عن ابناء اعيان لبنان كماجدة وضاهر وكرم الخ

وما كان اختلاف الاديان ليعيق الطلبة او يكدّر صفاء عيشهم فانّنا نجد بينهم الكاثوليكي والروميّ الارثوذكسيّ والمسلم والدرزي وهم يذكرون حتى اليوم ما وجدوهُ في اساتذتهم من العطف والحنان والحرص على تعليمهم

وقد عاد الاهلون بعد الحرب فارسلوا اولادهم بوافر العدد الى هذه المدرسة لما وثقوا في اربابها من المقدرة في التعليم والتهذيب . ولو أحصي عدد الذين استقوا من مواردها الصافية منذ انشائها لكادوا يناهزون ثلثة عشر الفاً

فكم بين هذا العدد العديد ممّن أدّوا لأوطانهم خدماً تُذكر فتُشكر . فلو استقرينا احوال البلاد وتتبّعنا كلّ اشغالها ووظائفها لوجدنا بعض الذين تخرّجوا في هذا الصرح العلميّ فنبغوا في دوائرهم ومناطقهم الخاصّة

منهم السيّد الجليل مخائيل اخرس مطران حلب الماروني ثم الكهنة والرهبان كحضرة الاباء نعمة الله مبارك والخوري بولس المعوشي والخوري مارون غصن

ومنهم السياسيُّون المحنّكون كالمرحومين نعوم لبكي ونيس المجلس النيابي في

دولة لبنان وداود بك عمون رئيس اللجنة الادارية وكرئيس مجلس النوّاب حالاً موسى بك نمور .

ومنهم رؤساء محاكم كالشيخ احمد تقيّ الدين رئيس محكمة الشوف وسعيد بك زين الدين رئيس محكمة الجنايات في لبنان والشيخ طنوس جحجع رئيس محكمة استئناف الحقوق ويوسف افندي البشاموني رئيس محكمة البترون ويوسف افندي روكز رئيس محكمة الجزاء في دمشق

ومنهم المحامون المتضلّعون كجان بك نقّاش وملحم بك حمدان والافنديّة جبران الزعني ويوسف السودا ويولس مرادو ميشال شبلي ويوسف عبدالله البستاني وابراهيم زين

ومنهم الاطبّاء النطاسيّون والاجزائيّون كخيرالله فرج صفير واسكندر عون ويوسف عازوري وبديع شمالي ونجيب الدبس ومرشد خاطر مدير المجلة الطبيّة في دمشق وحنّا الخازن والياس العشيّ وشكري الحصري ويوسف حنينه الخ

ومنهم الصحافيّون الذائعو الشهرة كنعوم افندي المكرزل صاحب الهدى والسيّد محمّد كرد علي صاحب المقتبس ورئيس المجمع العلميّ في دمشق . وفي بيروت صاحبا البرق والوطن ولحد افندي خاطر المحرّر في جريدتنا البشير

ومنهم الشعراء المفلقون كالامير شكيب ارسلان وشبلي بك ملّاط والشيخ امين تقي الدين ووديع افندي عقل والخوري جبرائيل ابي صعب

ومنهم الكتبة البلغاء كيوسف افندي البستاني وبولس افندي زين وجبران خليل جبران

ونقتصر على هؤلاء دون ذكر الذين نبغوا في التجارة في الوطن والمهجر فانّ صفحات المشرق تعجز عن استيعاب كل اسمائهم

ويسرّنا ان نقول في الختام انّ مدرسة الحكمة اليوم برئاستها وادارتها ونظّارها واساتذتها تمثل بيننا دوحةً باسقة يستظلّ تحت اغصانها الوارفة شبّان يبني عليهم الوطن اطيب آماله ليكونوا له عضدًا وسندًا في تدبير اموره ورقيّه في مدارج الفلاح . ونحن نضمّ صوتنا الى اصوات مهنّيها ببلوغها هذا اليوبيل الذهبيّ طالبين من الله ان تزيد على الدوام رقيًا ونجاحًا لمجده تعالى وخير الوطن العزيز